رائدات النسوية في الرواية الأردوية

محمد علي أختر*
Email: mdaliakhtar@gmail.com

ملخص البحث:

نشأت النسوية في الغرب كحركة اجتماعية وسياسية للدفاع عن حقوق المرأة، وبالتدريج اتخذت طابع النظرية والفلسفة، وامتدت ظلالها إلى كل حقل من حقول الثقافة، بما يشمل الأدب الذي أصبح من المجالات الأكثر تأثرًا بالحركة النسوية. لم تظهر الحركة النسوية في سياق الأدب الأردوي بصورة ظهرت ونالت إقبالاً في السياق الغربي، إلا أن الأدب الأردوي امتلأ تاريخ مساره الفكري والنظري الحديث بأمثلة التركيز على قضايا المرأة والدفاع عن حريتها وحقوقها والتأكيد على تثقيفها وتوعيتها. وبدأت معركة الدفاع عن حقوق المرأة في الأدب الأردوي من الكتاب الرجال الذين اتخذوا من المرأة موضوعاً للأهداف الإصلاحية وانضمت إليهم الكاتبات اللاتي حاولن كل منهن قدر مراتبهن الشعورية والثقافية للدفاع عن حقوق المرأة وكسر التابوهات وقيود العادات والقوانين الجائرة التي عرقلت حرية المرأة ونموها الفطري.

كلمات مفتاحية: الأدب النسوي، الأدب الأردوي، الأدب العربي، رائدات النسوية، الرواية النسوية.

Abstract:

Feminism in West emerged as a social and political movement to defend women's rights, and with the debates it triggered, soon became an ideology influencing all aspects of life, culture and intellectual sphere; literature being the most preferred area of its influence. Though it's not possible to talk of a feminist movement in the context of Urdu literature,as we find in West and elsewhere, Urdu literature and especially the Urdu novels spearheaded by men writers took great interest since inception in women's issues, highlighting their plight in Indian society and advocating for their rights. Soon, there emerged acclaimed women writers who took to denounce the stereotypes about women and break the social, religious, and cultural shackles which had hindered women's way to freedom,

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

respect, and the position they deserve, heralding a Feminist trend in Urdu novels.

النسوية حسب تعريف دائرة معارف علم الاجتماع هي "حركة تسعى لإنشاء مساواة اجتماعية واقتصادية وسياسية بين الرجل والمرأة وإصلاح الاعوجاج في علاقات الرجل بالمرأة" [1]. والنسوية حركة وأيدولوجيا معا وبما أنها تعرضت للتحليل الفلسفي الموسع فهي ترتقي إلى درجة نظرية كذلك، ركيزتها إحساس المرأة بالظلم ووعيها بالاضطهاد وشعورها بأن المرأة تعاني من العسف الاجتماعي المنهجي بسبب جنسها[2]. تعرفها "سارا غامبل" [3] كحركة سعت إلى تغيير المواقف من المرأة: "النسوية الاعتقاد بأن المرأة لا تعامل على قدم المساواة، لا لأي سبب سوى كونها إمراة في المجتمع الذي ينظم شؤونه ويحدد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته. وفي سياق هذا النموذج البطريركي، تمثل المرأة كل ما لا يمثله الرجل ولا يحب أن يمثله، حيث يعتبر الرجل قوياً ومنطقياً والمرأة ضعيفةً وعاطفيةً والرجل قائماً بذاته والمرأة قائمة لغيرها وهلمّ جرا. وتحت هذا المنطق الذي يجمع دائماً بين المرأة والسلبية، تُحرم هي من الفرص المتساوية للدخول في عالم الحياة العامة والتفويضات الثقافية. والنسوية بالإيجاز تسعى إلى تغيير هذه المواقف منها"[4]. فالنسوية هي محاولة لإنهاء الاضطهاد الذي تتعرض له المرأة بسبب الجنس عبر المجتمعات والثقافات والديانات.

إن الأدب كان من المجالات الأكثر تأثرًا بالحركة النسوية بجانب علم اللغة والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع ودراسات الثقافات والأديان والاقتصاد وغيرها. فعملت الحركة النسوية على تغيير مسار الأدب والنقد وطرق دراسة نصوص أدبية ومناهج دراسية. وفي سياق الأدب، تهدف النسوية إلى تفكيك (Deconstruct) المرأة التي لا تعرف ذاتها ولا تعي المنظور الاجتماعي والثقافي الذي حوّلها إلى واقع غير معلوم. ترتبط المرأة

[1] - آراء، شبنم، **اردو ناول پر تانیثیت کے اثرات**، (أطروحة الدكتوراه المقدمة إلى جامعة جواهر لعل نهرو، نيودلهي، الهند، 2006)، ص: 10-12.

[2] - توبان، لويز، " تيارات الفكر النسوي"، الحوار المتمدن، أبريل 2013، العدد 4060.

[3] - هي إحدى المنظرات النسويات الشهيرات.

[4] - Gamble, Sara, **The Routledge Companion to Feminism and Postfeminism**, Routledge, 2006 - Introduction

بتاريخ مفعم بأحداث الاضطهاد والظلم الثقافي والاجتماعي، يزخر فيه بحار الآهات والصرخات والأنات المكبوتة المضغوطة. وقد كشف الأدباء والأديبات عن تلك المواقف التاريخية المطمورة في أدبهم وأدبهن على مستوى منصات الفكر والنظريات المختلفة.

لم تظهر الحركة النسوية في السياق الأردوي وفي سياق الأدب الأردوي بصورة ظهرت ونالت إقبالاً في السياق الغربي، إلا أن الأدب الأردوي امتلأ تاريخ مساره الفكري والنظري الحديث بأمثلة التركيز على قضايا المرأة والدفاع عن حريتها وحقوقها والتأكيد على تثقيفها وتوعيتها. وقد بدأ النثر الأردوي كأول مستودع لمثل تلك الأفكار النهضوية، ومنه وصل هذا الشعور إلى الشعر. ومن اللافت للنظر أن معركة الدفاع عن حقوق المرأة في الأدب الأردوي انطلقت من الكتاب والأدباء الرجال الذين اتخذوا من المرأة موضوعاً للأهداف الإصلاحية وللنعى على مفاسد المجتمع السائدة، وانضمت إليهم الكاتبات والأديبات اللاتي حاولن كل منهن قدر مراتبهن الشعورية والثقافية للدفاع عن حقوق المرأة وكسر التابوهات وقيود العادات والقوانين الجائرة التي عرقلت حرية المرأة ونموها الفطري. وقد حدد "نامي أنصاري" ثلاثة اتجاهات فيما يتعلق بالشعور النسوي في الأدب الأردوي. الأول: الأدب الذي تكتبه المرأة ويحمل أبعاد الوعي النسوي المختلفة، والثاني: الأدب الذي تبدعه المرأة ولكن لا يمكن طبعه بالأدب النسوي. والثالث: الأدب الذي يبدعه الرجل ويعبر فيه عن حياة المرأة وقضاياها. وتمثل النوعَ الأولَ "عصمت شغتائي" و"آمنة أبو الحسن" و"خديجة مستور" و"هاجرة مسرور" وغيرهن في النثر، و"كشور ناهيد" و"فهميدة رياض" و"بروين شاكر" في الشعر. والاتجاه الثاني يتمثل لدى "قرة العين حيدر"، و"صالحة عابد حسين" و"رضية سجاد ظهير" و"صغرا مهدي" وغيرهن. وأما الاتجاه الثالث، فيتبلور عند كثير من الأدباء الرجال من "نذير أحمد" و"راشد الخيري" و"ميرزا محمد هادي رسوا" و"سعادت حسين منتو"، و"إقبال مجيد" و"سيد محمد أشرف" و"بيغام آفاقي". يعرض كل منهم قضايا المرأة والشعور النسوي بدرجات متفاوتة، على أن هدفهم لم يكن تعزيزا للحركة النسوية، بل جاء ذلك ضمن أساليب تعبيرهم عن المجتمع الإنساني[5].

[5] - پاشا، انور، **تانيثيت اور ادب**،(دهلي: عرشيه پبلى كيشنز، 2014)، ص: 85.

شكلت المرأة موضوع الأدب الأردوي منذ ولادته. ولا غرو أن دراسة تحليلية لأصناف الأدب الأردوي المتنوعة تكشف لنا أن المرأة ظلت موضوعاً محورياً في الكتابة الأدبية، فالشاعر بقدر ما يتغزل فيها، يشكو من العذابات التي يعاني منها، والروائي -لأنه ينطلق مما يقدمه له المجتمع- يكرس الصورة النمطية الموجودة عنها واقعياً، فإذا هي صور سلبية في الغالب. فصورتها لم تتجاوز كونها متعةً وجمالاً، خلقت لإمتاع الذكور فحسب. وهذه هي الصورة النمطية التي أشارت إليه "جيلاني بانو" قائلة: "تسمى المرأة كائناً جميلاً ولكن لا تعتبر إنساناً... يعدها الرجل في عداد "الشيء" ولا غير ويعتبرها أداة المتعة فحسب. وظلت للمرأة صورتان فحسب في الذاكرة للقرون: الأم والعشيقة. ويشكل كل منهما حاجة الرجل. ولا بد للمرأة من الاتصاف بالجمال لأن المرأة الجميلة وليست مجرد المرأة يشكل موضوع الأدب"[6]. إنه كان بعد ثورة 1857م ضد الحكومة الإنجليزية، أن الأدب الأردوي اتخذ طابع الواقعية وانطلقت مسيرة الرواية الأردوية بداية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحلت القصة والرواية محل الحكايات الخرافية، وحلت المرأة الواقعية محل الأميرات والحوريات[7].

وما يلفت الانتباه في تطور الأدب النسوي الأردوي بمعنى الأدب الذي يتحدث عن قضايا المرأة ويهدف إلى تحسين وضعها، وما يستحق الاعتراف به، أن الأدباء الرجال هم الذين صدرت عنهم بوادر التركيز والعناية الخاصة بقضايا المرأة، فبذلوا هم كل ما في وسعهم من الجهد الإبداعي في إبراز معاناة المرأة وطرق تحسين موقعهن في المجتمع وخاصة عن طريق الروايات[8]. وكان تعليم المرأة على رأس القضايا النسائية التي تناولته نذير أحمد ومن تلاه من الكتاب من أمثال سرسيد أحمد خان، وعبد الحليم شرر، وراشد الخيري، وبندت رتن نات سرشار، والحالي، ومرزا محمد هادي رسوا، وبريم تشند، وكرشن تشند، وراجندر سينغ بيدي، خلال رحلاتهم الأدبية الممتدة في الفترة من 1913م إلى 1940[9] ولم يتأخر ركب الكاتبات كثيراً عن ركب الأدباء في كتابة القصة

[6] - جاويد، عقيلة، **اردو ناول میں تانیثیت**، (ملتان: بهاء الدين زكريا يونيورسيٹی، 2005)، ص: 107.

[7] - مہدی، صغرا، **اردو ناولوں میں عورت کی سماجی حیثیت**، (نئی دہلی: سجاد پبلشنگ ہاؤس، 2002)، ص: 8.

[8] - کبیر، فہمیدہ، **اردو ناول میں عورت کا تصور - نذیر احمد سے پریم چند تک**، (نئی دہلی: مکتبہ جامعہ لمیٹڈ، نئی دہلی، 2012)، ص: 35.

[9] - وانی، مشتاق احمد، **اردو ادب میں تانیثیت**، (دہلی: ایجوکیشنل پبلیشنگ ہاؤس، 2013)، ص: 217.

والرواية بوجه خاص. فإن رشيدة النساء جاءت بأول رواية نسائية عام 1894م بعد 25 عاماً فقط من ظهور أول رواية أردوية "مرآة العروس" لنذير أحمد. وقد جاءت هذه الرواية في زمن كان تعليم المرأة يعد فيه من مسببات العار، فضلاً عن جرأتها على الكتابة. وكان تأثرها برواية نذير أحمد واضحاً في روايتها، حيث غلب عليها النزعة الإصلاحية التي ظلت نزعة غالبة على كل روايات ظهرت حتى أوائل القرن العشرين[10].

وظهرت في هذه الفترة رواية "موہنی" لصغرى همايون مرزا، والتي طرحت بجرأة نادرة المشاكل الناتجة عن الطلاق وقضايا تزويج الأرامل وحرية المرأة في انتخاب زوجها وغيرها. وكتبت أكبري بيغم "گدڑی کا لال" (جوهرة في الوحل) (1907) حول تعليم النسوة وركزت على تعليم بنات الطبقة العليا بصفة خاصة، وجاءت محمدي بيغم بثلاث روايات: "شريف بيٹی" (1913)، و "سگھڑ بيٹی" و "صفيه بيگم" و "آج کل" وقد دارت كلها كما يبدو من العناوين نفسها حول قضايا المرأة. ومن الأديبات البارعات في هذه الفترة، كانت نذر سجاد التي أتت بعشر روايات، بجانب مئتي قصص قصيرة[11]، كانت كلها تصويرا عن حياة الطبقة المتوسطة العليا الهندية قبل الاستقلال ولكن ينبض فيها قلب المرأة العادية التي تمنى بالآلام وترزح تحت ثقل ظلم المجتمع. وذاع صيت "حجاب إسماعيل" التي عرفت فيما بعد باسم "حجاب امتياز علي"، واشتهرت بكتابة قصص تتميز بالإبداع والرومانسية، كما ذاع صيت "مسز عبد القادر" التي أعطت القصة الأردوية مكانة مرموقة، وحددت لها اتجاهات واضحة، وقد برعت في استخلاص نتائج ميتافيزيقية رومانسية من الأحداث الواقعية، وأبدعت هذا الفن في الأردوية.

بدأت اتجاهات النسوية البارزة تظهر في الأدب الأردوي من العقد الرابع من القرن العشرين. ويعتبر ظهور مجموعة "انگارے" (جمر) التي نشرتها رابطة الأدباء التقدميين نقطة انطلاق للنسوية في الأدب الأردوي، وقد ضمت المجموعة قصتين لرشيد جهان: (دلی کی سير) (نزهة في دلهي) و (پردے کے پيچھے) (وراء الحجاب)، انتقدت فيهما مفاسد المجتمع الأبوي انتقادا لاذعا، حيث تناولت فيهما المعايير والقيم المتباينة للرجل

[10] - صدف، مشتاق، **اردو کی خواتين فکشن نگار**،(دہلی: سابتيه اکادمی، 2014)، ص: 79.

[11] - المرجع نفسه، ص: 80.

والمرأة بالنقاش الصارخ[12]. لم يكن هدف نشر مجموعة "انگارے" ترويج الرؤية النسوية ولكن الثورة التي طبعتها والأسلوب المتمرد والجرأة في التعبير بشكل واقعي صريح عن معايب المجتمع، هي التي مهّدت الطريق إلى ظهور الفكر النسوي في الأدب الأردوي.

رشيد جهان:

كانت رشيد جهان هي الأديبة النسوية التي تظهر لأول مرة في كتاباتها ملامح النسوية الواضحة وبشكل نظري عميق. بدأت الكتابة منذ أن كانت في المرحلة الثانوية من التعليم حول قضايا المرأة، وكان نشر قصتها في مجموعة "انگارے" أول دليل على جرأتها وطبيعتها الثائرة. وقد عملت هي من خلال أدبها على كسر قيود السيطرة الأبوية الغاشمة، ولأول مرة على مستوى أدبي، تحدت العقلية البطريركية، ودعت إلى شن حرب أدبية ضد استغلال المرأة الديني والاجتماعي والاقتصادي. يقول الأديب والناقد الأردوي البارز البروفيسور قمر رئيس: "الشيء الذي لم يكن يُتحدث عنه في القصة الأردوية حتى الآن، تحدثت رشيد جهان عنه باللغة الدارجة المستخدمة في البيوت، ومن براعة فنها أن القارئ لا يكاد يشعر بأنه خلال القصة يتفرج على سعة عالم جديد كانت القصة الأردوية خالية عنها من قبل. وقد ارتقت بهذا الاتجاه في الأيام التالية الأديبات الأخريات مثل "عصمت شغتائي" و"خديجة مستور" و"هاجرة مسرور" و"صديقة بيغم" و"رضية سجاد ظهير" وغيرهن إلا أن رشيد جهان كانت في طليعتهن"[13].

عصمت شغتائي:

ظهرت النسوية بعد رشيد جهان، بأقوى صورها عند عصمت شغتائي التي فاقت رشيد جهان في تسجيل الواقع، وفتحت فصلاً جديداً من الواقعية، وأثبتت أنها كانت نسوية بكل معنى الكلمة حيث أن أسلوبها وأدبها ومنهجها الفكري والأدبي ورؤاها الأدبية كلها كانت مصبوغة بلون النسوية. وقد نبعت ينابيع فكرها العالي وأدبها السامي من جرأتها النادرة ومن تمسكها بالواقعية السافرة التى مكنت المرأة أن تتجسد في كتاباتها في صورتها الأصلية مع عواطفها ومشاعرها الأصيلة ومكنوناتها

[12]- وانى، مشتاق احمد، **اردو ادب میں تانیثیت**، ص: 218.

[13]- المرجع نفسه، ص: 219.

ومنغلقاتها الحقيقية بشكل طار بألباب الرجال، بل أدهش حتى المرأة نفسها، التي أدركت أنها لأول مرة تسبر أغوار عالمها الداخلي والنفسي الذي لا عهد لها به من قبل[14]. الواقعية الصارخة هي الميزة الأساسية لأدب عصمت. فهي تكشف بدون هوادة ورحمة عن جوانب حياة الفتيات التي لا تجرؤ أي كاتبة حتى على الاقتراب منها. وقد طرحت عصمت الواقعية الجنسية في رواياتها بكل جرأة وبدون مبالاة بالانتقادات والآراء. ومن خلال تعليقها على موقف "شانتا" الثوري في روايتها "ضدي" (العنيد) بسبب حرمانها من عناية زوجها الجنسية، تفضح الكاتبة نفسيات المرأة الجنسية بشكل يعكس نظرة المجتمع إلى المرأة. فتقول: "كل ما تحتاجه المرأة الهندية هو الزوج والزوج كان متوفراً. فأي عناية تبتغيها! لم يكن نذلاً، ولم يكن يغيب طول الليل، لم يضربها ولم يبع حليتها لشرب الخمر، ولا يغازل الفتيات الأخريات، فبأي ألم روحي كان يؤلمها حتى بدت كأنها تجسيد للاضطهاد. ما أكثر المرأة مكراً وخدعة! وبوجه خاص المرأة التي تدعي بكل حق أنها شريفة محصنة، وما إن مرض زوجها أو تقدمت سنه حتى بدأت تعامل معه معاملة الجزار مع البقرة بعد ما يشح ضرعها بالحليب. وبأحقر حيلة تمتهن البغي وثم تعتبر نفسها مستحقة لمواساة الناس. ما أحسن تلك العادة حيث كانت تحرق في المحرقة كالقمل وإلا كانت الدنيا ملآنة بالمومسات!" [15]. إن في المقتبس السابق نقداً لاذعاً للمجتمع الذي يعتبر المرأة متعة للرجال، ولكن لا يعتبر المرأة إنساناً له عواطف ومشاعر وله رغبات جنسية كذلك. بل يكرس هذا المجتمع في ذاكرة المرأة أنها كائن ضعيف وعاجز مفطور على الذعر والخوف والجبن.

ومن خلال شخصية البطلة "شمن" في روايتها "ٹیڑھی لکیر" (الخط المنعرج)، عرضت الكاتبة للتعقيدات النفسية والاختناق الجنسي التي تعاني منها المرأة منذ الولادة، كما تناولت بالعرض والتحليل العوامل الدينية والاجتماعية والأسرية المختلفة التي تتضافر لصياغة شخصية "شمن" المنحرفة وتشكيل طبيعتها الثورية ومواقفها الذهنية وتعقيداتها النفسية. صورت الكاتبة في الرواية مجتمعاً لا يهتم بقضية المرأة لأنه لا يعتبرها إنساناً، بل يعدها في عداد البضائع ووسيلة من وسائل الإمتاع. وإلى هذه

[14] - المرجع نفسه، ص: 219.

[15] - چغتائی، عصمت، **ضدي**، (على گڑھ: مكتبه ألفاظ، 1982) ص: 107-108.

النظرة الدونية للمجتمع أشارت عصمت على لسان بروفيسور الذي يقول: "المرأة مهما كانت، من الحماقة محاولة فهمها. فإنها لم تخلق لأن تدرس وتُفهم، بل تخلق للاستخدام فحسب... أنت شمن كالطريق التي يمشي عليها آلاف الناس ليلاً ونهاراً ومع ذلك فإنها وحيدة وبدون روح"[16]. ولا يؤكد البروفيسور بقوله إلا ما ترسخ في مخيلة كل مجتمع من تصور خاطئ عن المرأة و ما يعبر عن نظرة كل مجتمعات إليها: "دعه عنك! لا يليق بالمرأة الخوض في السياسة... إذا بدأت الدجاجة يصيح كالديك يجب ذبحها"[17].

وفي روايتها "معصومة"، تفضح "عصمت" عبر شخصية بطلتها "معصومة" التي تضطر إلى قبول حياة الذل والعار، وتجبرها الأوضاع إلى بيع كرامتها وعزها، عقلية الطبقة الرأسمالية التي بفضل ثروتها ونفوذها تهتك كرامة الطبقة الفقيرة وكرامة المرأة المقهورة وترغمها على بيع جسدها. وتصور لنا الكاتبة بوضوح كيف يعتبر المجتمع المرأة بضاعة ويعمل على تشييئها واستغلالها المادي والتجاري والجنسي لإنجاز مطامحه التجارية والسياسية. وهذه هي عادات المجتمع وقوانينه التي تهيأ أسباباً لانتشار العهر وتجبر المرأة على الوقوع في هذه الهاوية السبخة. وهذا المجتمع نفسه يحرق مثل هذه المرأة ويعتبرها فاجرة فاسقة وإن كانت أحسن وأعز من شرفائه. إن "معصومة" التي تتحول إلى "نيلوفر" لتتكفل بمعيشة أسرتها رغم كل محاولاتها الإنسانية وطموحاتها الشريفة، تبقى موسماً في نظر المجتمع وتستحق منه اللوم والعتاب. "إنها فاجرة ووصمة عار على جبين المجتمع. ولكن المجتمع الذي صاغ من "معصومة" "نيلوفر" ليس موسماً وليس فاجراً. وحدها نيلوفر هي فاجرة! نيلوفر التي تتكفل بمعيشة أسرتها والتي هي الأم غير الشرعية لأولادها الذين تطعمهم، هي الفاجرة"[18].

قرة العين حيدر:

تجلت النزعة الجديدة من الاتجاه النسوي، المختلفة من اتجاهات أي أديبة أردوية في روايات قرة العين حيدر وقصصها القصيرة، حيث نعثر فيها على تاريخ كامل

---

[16]- چغتائی، عصمت، **ٹیڑھی لکیر**، (لکناؤ: نصرت پبلیشرز، 1990)، ص: 391.

[17]- المرجع نفسه، ص: 397.

[18]- چغتائی، عصمت، **معصومه**، (دہلی: کتابی دنیا، 2002)، ص: 128.

للمرأة. وهي أول من عرّفت "تيار الوعي" إلى الأدب الأردوي. وقد تميزت موضوعاتها بالعمق الفني والفكر العميق، و تموجت في روايتها موجات هائلة من الفلسفة والتاريخ، وتعانقت فيها علوم الاجتماع والسياسة والحضارة وعلم النفس. دراستها كانت عميقة لكتابات "جيمس جويس" و"فرجيينا وولف" و"كومبتون برنيت" و "دوروثي ريتشاردسون" وغيرهن من أيقونات الحركات النسوية الغربية، فتوسعت ثقافتها وتنوعت منابع فكرها. وقد فاقت هي أقرانها في تصوير مكانة المرأة واضطهادها في مختلف الخلفيات الاجتماعية والأزمنة التاريخية بأسلوب لا مثيل له في الأدب الأردوي. تعبر المرأة في رواياتها عن روح تسافر من نقطة الأزل إلى جهة الأبد بحثاً عن الحب الذي لا يقيده زمان ولا مكان. وأما الرجل فهو تجسيد للأنانية، والغدر والخيانة من صفاته اللازمة. يتكرر هذا المشهد -مشهد خلوص المرأة ووفائها وغدر الرجل وخيانته -في كل رواياتها تقريباً. كما يتجلى من رواياتها أن المرأة مهما تعلمت وتثقفت فلا مناص لها من أن تتعرض لاضطهاد الرجل واستغلال المجتمع. ومن خلال عرض هذه الصورة أرادت الكاتبة التأكيد على أن اضطهاد المرأة في المجتمع ليس بسبب جهلها ونقص في ثقافتها، بل سببه عقلية الرجل التي ترفض فكرة مساواة المرأة بالرجل ولا يروقه حتى أن يفكر في إعطائها حقوقها التي تستحق.

ويكفي عنوان روايتها "لا تخلقني بنتًا في الحياة الثانية" تعبيراً عن الإحساس المؤلم بما يعنى كون المرأة في المجتمع البطريركي. وتلخص قرة العين حيدر حياة المرأة في الفقرة التالية من روايتها القصيرة "ليشتعل مصباح من الذكريات": "أترى شجاعة المرأة! تتحمل مسؤولية إنجاب المجتمع وتربيته. وعندما تصبح عروسة توصف بأنها وضعت لبنة أساس لآلاف السنين الآتية. تلد حياة وتكاد هي تموت... تتحمل المصاعب وتجابه الفقر وضآلة العيش، وتتعرض لخيانة الزوج وكيد الضرة، ورغم كل هذا وذاك، لا تيأس من الحياة"[19]، وتعلق قرة العين حيدر على تعاسة المرأة في المجتمع رغم وفائها وخلوصها قائلة: "من الأزل، المرأة هي المخلوقة التي كتبت لها كل التعاسة في نصيبها، هي المرأة التي تحب الرجال بأنواعهم ومع ذلك تتعرض للطرد في النهاية.

[19] - حيدر، قرة العين، **پت جھڑ کی آوازا**، (نئی دہلی: مکتبہ جامعی لمیٹڈ، 5197)، ص: 138.

يطردها الزوج مرة، والابن مرة أخرى، ويطردها حبيبها مرة ثالثة.. ورغم كل ذلك، تحب المرأة كل هذه الصور من الرجال. هذه هي المرأة التي تلوذ بالمساجد والمعابد والكنائس وتستعين بالمقابر والمزارات، تبكي على تعاستها وتشكو من عجزها"[20].

جيلاني بانو:

من جهة أخرى، تتميز جيلاني بانو بأسلوب منفرد بين النسويات وتشكل أعلومة هامة في الأدب الأردوي النسوي. تتناثر في رواياتها كثرة كاثرة من صور اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية وحكايات الصراع الطبقي. ويتميز أسلوبه بالسذاجة والسهولة لكي يعمل عمل السيف القاطع. نالت روايتاها "أيوان غزل" (1967م) و "بارشِ سنگ" (مطر الأحجار) (1984م) شهرة واسعة. ركزت جيلاني بانو فيهما على ظلم المجتمع الأبوي واضطهاده على المرأة بوجه خاص. رسمت الكاتبة في روايتها "أيوان غزل" صوراً متنوعة من المرأة التي تعيش في مجتمع يسيطر عليه النظام الإقطاعي المتجبر. وذلك من خلال تغطية 30 عامًا تمرّ على "أيوان غزل" في فترة سبقت استقلال الهند وتلتها، وشهدت متغيرات كثيرة على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي. ترسم أحداث روايتها "أيوان غزل" أنه مهما تغيرت معايير الحياة وترقت أساليب العيش وتطورت الثقافة إلا أن المرأة لا يتغير وضعها ومكانتها ولا يتحسن نصيبها بل تبقى تتعرض للاستغلال والاضطهاد والتمييز والحيف في كل حال من الأحوال. تدور هذه الرواية حول النظام الإقطاعي الذي ساد في مجتمع حيدرآباد، وتحاول إبراز الظلم والاضطهاد والاستغلال الذي تعرض له المجتمع بما فيه المرأة تحت هذا النظام. فالمرأة في هذا المجتمع الإقطاعي تحتل درجة ثانوية ومكانة منحطة. تعتبر ولادة البنت فيه شؤما وتعاسة، وتعد ولادة الولد سعادة وتفاؤلاً وأملاً في جلب الثروة والرخاء. وقد صورت الرواية هذا التمييز بين الجنسين في مشاهد مختلفة وصور شتى[21].

تعالج رواية جيلاني بانو الثانية "بارشِ سنگ" (مطر الأحجار) قضية استغلال الطبقة الكادحة المادية والروحية على أيدي الأثرياء وأصحاب العقارات والأراضي في الهند قبل استقلال البلاد بقليل وبعدها، وتتناول مشكلة العمل بدون الأجرة لسداد

[20]- المرجع نفسه، ص: 136.

[21]- بانو، جيلانى، **ايوانِ غزل**، (دہلى: ايجوكيشنل پبلشنگ ہاؤس، 2012)، ص: 51.

الديون. وفي خلفية هذا السياق، تعرض الرواية صوراً عديدة لاضطهاد المرأة ومشاكلها في المجتمع. وتسرد حكاية وضع المرأة المؤلم وحياتها التعسة في خلفية استغلال الطبقة الكادحة على يد الإقطاعيين. تتناول الرواية خاصة أوضاع نساء الطبقة الكادحة وما يعانين من ظلم واستبداد وانتهاك لحرمتهن على أيدي أمراء النظام الإقطاعي، وتصور صور إجبار النساء على العمل في منازل الأمراء والتجار وحقول الإقطاعيين وتعرضهن لهجوم رغباتهن الجنسية العارمة حيث لا يسعهن إياهن ولا رجالهن أن يحتجوا ضدهم، وبذلك فإن الرواية تطرح صور الكبت والضغط التي يفرض عليها المجتمع لأسباب مختلفة وبأساليب متنوعة[22].

رضيه فصيح أحمد:

بدورها سعت رضية فصيح أحمد بروايتيها "آبله پا" (مقروحة القدمين) (1961م) و"انتظار فصل گل" (في انتظار فصل الربيع) (1965م) إلى إبراز مكانة المرأة الاجتماعية وقضاياها في المجتمع. وألقت الضوء على السيطرة الذكورية ونفاق المجتمع الذكوري. وفي كلتا الروايتين، تشكل المرأة البؤرة التي يدور حولها السرد الروائي. إن رضية فصيح أحمد تعي بمشاكل المرأة وترسمها في رواياتها ولكنها ليست ضد الرجل بل تعترف بمشاكل الرجال أيضاً ولكن تعتقد أن مشاكل المرأة أكثر من مشاكل المرأ بضعفين. لا تظهر المرأة في رواياتها في صورة امرأة ثائرة متمردة تكسر قيود المجتمع وتخرج على قوانينه بل هي بصبر تتحمل المشاكل وتحاول مغالبتها بشجاعة في أمل أن يجيء يوم ستتمكن المرأة من الانعتاق منها. ولا أدلَّ على صورة المرأة وقضاياها في رواياتها وقصصها مما قالته بنفسها في المقتبس التالي: "المرأة في رواياتي وقصصي تتجشم الآلام، وتتحطم بداخلها وتتفاهم مع الأوضاع قدر وسعها وتعيش وتموت في أمل أن يتسنى لها يوماً حق القرار والاختيار. وبعض عمليات التفاهم التي تتم بلا وعي، تجعل المرأةَ تتجلى في صور متنكرة غريبة..... تحاول بعض النسوة الحصول على تعاطف الآخرين بتحويل قلقهن الذهني في أمراض جسدية، والمرأة التي لم تستطع ذلك، تبقى تحترق بنار وعيها، كما احترقت كل من "صبا" في رواية "مقروحة القدمين"، و"تارة" في

[22]- بانو، جيلانی، **بارشِ سنگ**، (حيدرآباد: اردو مركز، 1985)، ص: 27.

رواية "في انتظار فصل الربيع" و"غل" في رواية "متاع الألم" و "صباحت" من رواية "إيلام الغرام"[23].

خديجه مستور:

في وقت كانت الشخصيات النسائية في الروايات إما اتصفت بمعايير الأخلاق السامية أو عُرضت في صور مشوهة كريهة، سلكت خديجة مستور طريقاً وسطاً وعرضت قضايا المرأة بأسلوب هادئ متين، مدافعة عن حقوق المرأة على غرار الأدباء الرجال ولكن بشكل أكثر عمقاً وأشد ارتباطاً بعوالم المرأة الداخلية ونفسياتها العميقة. جاءت خديجة مستور بستة إصدارات تشمل روايات ومجموعات القصص القصيرة، إلا أن الكتاب الذي جلب لها صيتاً وسمعة ورسخ اسمها كأديبة بارعة بين الأدباء البارزين هو روايتها "آنگن" (الفناء)، ورواية "زمين" (الأرض) (1987م). وما يميز فن خديجة مستور أنها لا تتبع أي نموذج ولم تتحدد كتابتها في قالب، بل نبعت من تجاربها الذاتية فكتبت في ضوء تجاربها الشخصية غير متأثرة بكتابات الآخرين.

تعرض روايتها الأولى "آنگن" (الفناء) (1962م) صراعات المرأة الذهنية في وجه إغماض الرجال عن حقوقها الأساسية، مما يعرضها لأقسى أنواع العذاب ولا يدع لها مجالاً إلا الصبر وتجرع مرارة الحياة. تنحدر بطلة الرواية "عالية" من أسرة تحمل جذور النظام الإقطاعي الذي لا يعتبر المرأة إلا متعة للنظر ولإشباع الرغبات الجنسية. المرأة فيه ليست كائناً قائماً بالذات بل هي مجرد شيء لا يمتلك قوة ولا نفعاً، وتنهال عليه دائماً دروس عبادة الزوج، "لا يهم الفتاة في الحاية إلا أن تحب، و تهرب أو تُغتصب"[24]، وأما رجال هذا النظام، فيتخذون لا أقل من أربع محظيات يلدن أولاد حرام وهم أثقال على عاتق الأسرة. ولا تستطيع الزوجة أن تمنع زوجها من زواج آخر بل حتى أن تعارضه. ونسجت خديجة مستور حبكة روايتها الثانية من خيوط المجتمع الباكستاني المسلم بعد انقسامها من الهند، وصورت نفاق المجتمع وكذبه وانهيار المبادئ التي تأسست عليها الدولة الجديدة. وفي سياق ذلك عرضت قضايا المرأة التي لا تتغير لها الدنيا ولا نظرة المجتمع أبداً، مهما تغيرت الأوضاع والبلاد. فالمرأة ليست إلا بضاعة يسلبها المغتصبون

[23]- احمد، رضيه فصيح، **بے سمت مسافر**، (كراچی: مكتبه اسلوب، 1983)، مقدمة.

[24]- مستور، خديجه، **آنگن**، (لاہور: سنگ میل پبلی کیشنز، 2012)، ص: 109.

والمشاغبون ضمن البضائع الأخرى وغنيمة يفوز بها الفائزون في الحرب. وتعبر الراوية عن هذه الرؤية المشينة للمجتمع الذكوري نحو المرأة عبر قول "ناظم"، أحد شخصيات الرواية، الذي يقول مستهزئا بالشيخ حين يسمعه ينحب على بنته التي اغتصبها المشاغبون: "يا بابا! أي بنت أنت تناديها؟ لم تكن هي بنتًا! بل كانت أثمن الغنائم، ولن تعيدها صرخاتك"[25].

خاتمة البحث:

لقد جسدت كتابات عصمت تشغتائي وقرة العين حيدر وجميلة هاشمي ورضيه فصيح أحمد وخديجة مستور وجيلاني بانو وبانو قدسية وصغرا مهدي وغيرهن احتجاجاً بل كانت كل الاحتجاج على قيم المجتمع المعاصر الأبوي الذي دائماً نظر إلى المرأة ككائن ضعيف ومحكوم. فتبلورت فيها بكل وضوح صور اضطهاد المرأة الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وتموجت فيها تيارات الثورة والنقمة. حملت هؤلاء الكاتبات وعياً عميقاً بالمجتمع وكانت على دراية بحقوقهن، فلم يكتفين بالدفاع عن حقوقهن فحسب، بل عرضن المرأة في شخصيات اتصفت بالوعي الحاد بحيل المجتمع الخداعة التي يوظفها الرجل لاستعبادهن أو إجبارهن على بيع حسنهن. إن الشخصيات المتمثلة في الروايات النسوية عرضت صوراً للمرأة مختلفة عن صور تبلورت في نتاج أدباء المجتمع الذكوري. فكانت شخصيات حرة مستقلة يناضلن من أجل الحصول على الحقوق المتساوية لا في داخل الفضاء الخاص بل في مجالات اجتماعية وسياسية واقتصادية كذلك. وبالإجمال، كما يرى الأستاذ الناقد عتيق الله "شهد الأدب الأردوي الكاتبات الكثيرات من رشيد جهان إلى عصمت تشغتائي وبعدها إلى السيدة حنا، اللواتي أنطقن من خلال إبداعاتهن شخصية المرأة وشعورها وتعقيداتها النفسية وصمتها، فأصبحت المرأة الآن محترفة وعلى دراية كاملة بمكر الرجل وحيله وهي واعية ومستقلة برأيها ورؤاها"[26].

[25] - مستور، خديجه، **زمين**، إي بك: (كتاب پوائنٹ بلاگ پوسٹ، بدون سنة الطبع)، ص: 6.

[26] - آراء، شبنم، **اردو ناول پر تانيثيت كے اثرات**، ص: 139

المصادر والمراجع:

- أحمد، رضيه فصيح، بے سمت مسافر، كراچی، مكتبه اسلوب، 1983م.
- آراء، شبنم، اردو ناول پر تانيثيت کے اثرات، دلهي الجديدة، أطروحة الدكتوراه المقدمة إلى جامعة جواهر لعل نهر، 2006م.
- بانو، جيلانی، ايوانِ غزل، دہلی، ايجوكيشنل پبلشنگ ہاؤس، 2012م.
- بانو، جيلانی، بارشِ سنگ، حيدرآباد، اردو مركز، 1985.
- پاشا، انور، تانيثيت اور ادب، دهلي، عرشيه پبلی كيشنز، 2014.
- تشغتائی، عصمت، ٹيڑھی لكير، لكناؤ، نصرت ببليشرز، 1990م.
- تشغتائی، عصمت، ضدي، علی گڑه، مكتبه ألفاظ، 1982م.
- تشغتائی، عصمت، معصومه، دہلی، كتابی دنيا، 2002.
- توبان، لويز، تيارات الفكر النسوي، موقع الحوار المتمدن، العدد 4060، أبريل 2013م.
- جاويد، عقيلة، اردو ناول ميں تانيثيت، ملتان، بهاء الدين زكريا يونيورسيٹی، 2005م.
- حيدر، قرة العين، پت جھڑ كی آوازا، دلهی الجديدة، مكتبه جامعه لميٹڈ، 1975م.
- صدف، مشتاق، اردو كی خواتين فكشن نگار، دہلی، ساهتيه اكادمی، 2014م.
- كبير، فہميده، اردو ناول ميں عورت كا تصور - نذير احمد سے پريم چند تک، نيو دلهی ، مكتبه جامعه لميٹڈ، 2012م.
- مستور، خديجه، آنگن، لاہور، سنگ ميل پبلی كيشنز، 2012م.
- مستور، خديجه، زمين، الكتاب الإلكتروني، بدون سنة الطبع ومكان النشر.
- مہدی، صغرا، اردو ناولوں ميں عورت كی سماجی حيثيت، نيو دلهي، سجاد پبلشنگ ہاؤس، 2002م.
- وانی، مشتاق احمد، اردو ادب ميں تانيثيت، دہلی، ايجوكيشنل پبليشنگ ہاؤس، 2013م.
- Gamble, Sara, The Routledge Companion to Feminism and Postfeminism, 2006, New York, Routledge.